المحاضرة 01: النقد العربي مفهومه وتطوّره وجغرافيته في المشرق والمغرب

أولا: مفهوم النقد الأدبي

1- النقد:

ورد في لسان العرب لابن منظور: النقد والتنقادُ: تمييز الدراهم وإخراجُ الزيف منها، أنشدَ سيبويه:

تنفي يَداها الحَصى في كلِّ هاجرةٍ نفى الدنانير تنقادُ الصياريفِ

والنقدُ مصدر نَقَدتُهُ دراهمَهُ، ونقدتهُ الدراهم، ونقدتُ له الدّراهم أي أعطيتهُ، فانتقدها أي قبَضَها. ونقد الرجلُ الشيءَ بنظره ينقده نقدًا ونقدَ إليه: اختلس النظرَ نحوه، ومازال فلانٌ ينقُدُ بصَرَه إلى الشيء إذا لم يزل ينظرُ إليه، وفي حديث أبي الدرداء أنّه قال: إن نقدت الناسَ نقدوك وإن تركتهم تركوك، معنى نقدتهم أي عِبتهم واغتبتَهم قابلوك بمثلِه، والنقد: تقشّرٌ في الحافر وتأكّل في الأسنانِ.

ويقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: النون والقاف والدّال أصلٌ صحيح يدل على إبراز شيءٍ وبروزه. من ذلك: النقد في الحافر، وهو تقشّره، حافرٌ نَقِدٌ: مُتقشِّرٌ، والنقد في الضّرس تكسُّره، ومن الباب: نقد الدرهم، وذلك أن يُكشفَ عن حاله في جودته أو غير ذلك.

والمعنى الأول هو الأقرب لمفهوم النقد، وهو التمييز بين الجيد والرديء من الدراهم، ومعرفة زائفها من صحيحها، وكما يكون التمييز بين الجيّد والرديء في الأمور الحسيّة يكون أيضا في الأمور المعنوية ومنها النصوص الأدبية.

2_ الأدب:

كلمة **" أدب"** من الكلمات التي تطوّر معناها بتطور حياة الأمة العربية وانتقالها من دور البداوة إلى أدوار المدينة والحضارة، فأصلُ " الأدب" الدّعاءُ، وإذا رجعنا إلى العصر الجاهلي لم نجدها تجري على ألسنة الشعراء، إنما نجدُ لفظة " آدب" بمعنى الدّاعي إلى الطعام. قال طرفة بن العبد:

نحن في المشتاةِ ندعو الجَفلى لا ترى الآدب فينا ينتقِر

ومن ذلك المأدُبَة بمعنى الطعام الذي يُدعى إليه الناس، واشتَقّوا من هذا المعنى " أَدُبَ"، " يَأدُبُ" بمعنى صنع مأدُبة، أو دعا إليها، وليس وراء بيت طرفة أبيات أخرى تدلُّ

على أنّ الكلمة انتقلت في العصر الجاهلي من هذا المعنى الحسيّ إلى معنى آخر. ثم سُمّيت كلّ فضيلة أدبا وقد استُخدِمت الكلمة بهذه الدلالة الخُلُقية في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " ما نَحَل والدٌ وَلَده نحلاً أفضل من أدب حَسنٍ " وفي الحديث النبوي: " أدّبني ربّي فأحسن تأديبي".

ثم إنّ الأدب الذي يعني الفضيلة والخُلُق الحسن، صار يعني تعليم الفضيلة والخلق الحسن، والتدرب عليهما، وحمْل الناس على السلوك الطيب فلا نمضي في عصر بني أمية حتى نجد الكلمة تدور في المعنى الخلقي التهذيبي، وتضيف إليه معنى ثانيا جديدا وهو معنى تعليمي فقد وُجِدت طائفة من المعلمين تسمّى بالمؤدبين كانوا يعلمون أولاد الخلفاء ما تطمح إليه نفوس آبائهم فيهم من معرفة الثقافة العربية، فكانوا يلقّنونهم الشعر والخطب وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام.

ويقول معاوية بن أبي سفيان: " يجب على الرجل تأديب ولده، والشعر أعلى مراتب الأدب"، وأتاح هذا الاستخدام لكلمة الأدب أن تصبح مقابلة لكلمة العلم الذي كان يطلق حينئذ على الشريعة الإسلامية وما يتصل بها من دراسة الفقه والحديث النبوي، وتفسير القرآن الكريم.

وإذا انتقلنا إلى العصر العباسي وجدنا المعنيين التهذيبي و التعليمي يتقابلان في استخدام الكلمة، فقد سمّى ابن المقفع رسالتين له تتضمّنان ضروبا من الحِكم و النصائح الخلقية و السياسية باسم " الأدب الصغير" و" الأدب الكبير" ، وبنفس هذا المعنى سمّى أبو تمام الباب الثالث من ديوان الحماسة الذي جمع فيه مختارات من طرائف الشعر باسم " باب الأدب " وفي القرنين الثاني والثالث للهجرة وما تلاهما من قرون كانت الكلمة تطلق على معرفة أشعار العرب و أخبارهم، و أخذوا يؤلفون بهذا المعنى كتبا سموها كُتُب أدب مثل: البيان والتبيين للجاحظ ومثله كتاب الكامل في اللغة و الأدب للمبرد.

ولم تقف الكلمة عند هذا المعنى التعليمي الخاص بصناعتَي النظم والنثر وما يتصل بهما من الملح والنوادر، فقد اتسعت أحيانا لتشمل كل المعارف غير الدينية التي ترقى بالإنسان من جانبيه الاجتماعي والثقافي.

ولا نصل إلى ابن خلدون حتى نجدها تطلق على جميع المعارف دينية وغير دينية، فهي تشمل جميع ألوان المعرفة وخلاصة علو البلاغة واللغة، على أساس أن المقصود من علم الأدب عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فنّي المنظوم والمنثور، على أساليب العرب ومناحيهم ومن ثم قال: " الأدب هو حفظ أشعار العرب أخبارهم والأخذ من كل علم بطرف" إلى أن أخذت كلمة " الأدب" معناها الذي يتبادر إلى أذهاننا اليوم، وهو الكلام

الإنشائيُّ البليغ الذي يُقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسّامعين، سواء أكان شعرا أم نثرا.

3_ النقد الأدبي:

النقد الأدبي هو فن دراسة النصوص الأدبية لمعرفة اتجاهها الأدبي وتحديد مكانتها في مسيرة الآداب والتعرف على مواطن الحسن والقبح مع التفسير والتعليل، فهو يُعنى بدراسة الأساليب وتمييزها، ويتناول العمل الأدبي يفسّره ويناقشه مستخلصا عناصر الجمال التي احتواها والتي كانت سببا في سموّه و ارتقائه، أو بيان السمات التي أدت إلى احتقاره.

ومن هنا يكون النقد تلك العملية التي تزن، وتقيّم و تحكم، وخلافا لبعض الآراء لا يتعامل النقد مع العيوب فحسب، فالنقد الحصيفّ يحدّد خاصيات الجودة و خاصيات الرداءة، الفضائل و النقائص، وهو لا يعلن الإطراء أو الإزدراء، بل يقابل بين مظاهر الإخفاق ومظاهر التميّز، ثم يصدر الحكم المتأنّي؛ فجوهر النقد الأدبي يقوم أولا على الكشف عن جوانب النضج الفنّي في النتاج الأدبي و تمييزها ممّا سواها على طريق الشرح و التعليل، ثم يأتي بعد ذلك الحكم العام عليها.

4_ مهمة النقد الأدبي وغايته:

أولا: دراسة العمل الأدبي وتمثله وتفسيره وشرحه، واستظهار خصائصه الشعورية والتعبيرية، وتقويمه فنّيا وموضوعيا.

ثانيا: تعيين مكان العمل الأدبي في خط سير الأدب، وتحديد مدى ما أضافه إلى التراث الأدبي في لغته، وفي العالم الأدبي كله، وأن نعرف أهو نموذج جديد أم تكرار لنماذج سابقة مع شيء من التجديد؟

ثالثا: تحديد مدى تأثر العمل الأدبي بالمحيط ومدى تأثيره فيه _ فضلا عن الناحية التاريخية_ فإنّه من المهم أن نعرف ماذا أخذ هذا العمل الأدبي، ومدى الإستجابة للبيئة.

رابعا: تصوير سمات صاحب العمل الأدبي _ من خلال أعماله _ وبيان خصائصه الشعورية والتعبيرية، وكشف العوامل النفسية التي اشتركت في تكوين هذه الأعمال.

خامسا: النهوض بالأدب، وتوجيهه إلى الكمال، برسم مناهجه، وتصحيح أخطائه، واستظهار مواطن حسنه.

سادسا: أنّه يساعد قارئ الأدب على فهمه، ويعينه على تذوّقه ويغرس فيه الإحساس بالجمال.

5_ **شروط الناقد الأدبي**:

ينبغي أن يمتلك الناقد الأدبي جملة من الخصائص التي تمكّنه من ممارسة العمل النقدي أهمّها:

1_ الذّوق

2_ الثقافة

3_ الخبرة

4_ الدربة والممارسة.